

عاشق الزهراء

محطات نور في حياة
السيدة الزهراء عليها السلام



جمعية امبرات الخيرية
دائرة الاشراف الديني

❖ حياة الزهراء (ع):

قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

يَلِدُ الزُّهْرَاءُ يَزْهَدُ فِي سِوَاهَا

مَا تَمْنَى غَيْرَهَا نَسْلاً وَمَنْ

عاشت الزهراء (ع) حياة قصيرة في سني العمر، إذ يقول بعض المؤرخين أن عمرها عندما توفيت كان دون العشرين، وبعضهم يقول إنها كانت دون الثلاثين.. هذا العمر القصير، كان مليئاً بكل ما يجعل منها امرأة حية بشكل كامل، في كل الأجواء الرسالية والروحية والعملية للرجال والنساء معاً.

وعلى الرغم من أن الله سبحانه أكد تعدد بنات النبي (ص)، إلا أن بعض الناس ينكرون أن يكون للنبي بنات غير الزهراء (ع)، وقد خاطب الله رسوله قائلاً: {قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} (الأحزاب/٥٩)، ما يدل على التعدد، وذلك في قوله تعالى (وبناتك)، وهذا ما أكدته الرواية الواردة في حديث الإمام الصادق (ع) عن رسول الله (ص).

ولكن المسألة - في الفرق بين الزهراء (ع) وبين بنات النبي (ص) - أن بناته الأخريات كن في رعاية أمهن أم المؤمنين خديجة (ع)، فهي التي ربتهن، في حين أنه (ص) هو الذي ربى الزهراء (ع). ولذلك كانت حتى في طفولتها الأولى تتحرك معه، وكانت في عاطفتها الإنسانية والروحية والبنوية تعيش معه، حتى أن التاريخ يذكر أن المشركين وضعوا بعض أمعاء الشاة على ظهر رسول الله (ص) وهو ساجد، فجاءت الزهراء (ع)، وهي طفلة في ذلك الوقت، وأزلت ذلك عن أبيها، ووقفت أمامهم في موقف التحدي وهي بنت خمس سنوات أو أقل. واجهتهم وأنبتهم، ما يدل على أنها كانت في تلك المرحلة في موقف الوعي للرسالة وللرسول.

وقد تحدثت عنها عائشة أم المؤمنين فقالت: «ما رأيت أحداً أشبه سمياً وهدياً ودلاً برسول الله في قيامها وعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت على النبي (ص)، قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي إذا دخل عليها، قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها».

ويذكر المؤرخون أنها عندما كانت تمشي، كانت لا تخطى مشية رسول الله (ص)، إذ كانت تمشي مشيته من خلال تأثرها به، وكانت العلاقة بينها وبينه في ما يتحدث عنه المؤرخون، أنه كان إذا رجع من غزو أو سفر، أتى المسجد فصلى فيه ركعتين شكراً لله على أنه أرجعه من سفره، ثم ثنى بفاطمة (ع)، ثم يأتي أزواجه، بحيث كانت الزهراء (ع) هي الأقرب إليه.

وينقل بعض المؤرخين في سيرتها (ع)، أن رسول الله (ص) كان راجعاً من سفره، فأقبل إلى بيت فاطمة (ع) يريد الدخول إليه ثم رجع، فاستغربت فاطمة ذلك، وعرفت أنه لا بد من أن يكون هناك شيء، رآه رسول الله (ص) في مدخل البيت ولم يرتح إليه، فنظرت، فإذا ليس هناك إلا ستار أهداها إليها علي (ع) مما حصل عليه في بعض المعارك، فأخذت هذا الستار وقالت لولديها الحسن والحسين (ع): «انطلقا إلى أبي، فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا، فما شأنك به؟»، فجاء الحسنان (ع) يحملان هذا الستار، وكان النبي (ص) على المنبر، فأبلغاه الرسالة وأعطياه الستار، فهزت هذه الأريحية رسول الله (ص) فقال: «فداها أبوها، فداها أبوها، فداها أبوها، ما لآل محمد وللدنيا، إنهم خلقوا للأخرة»، وأخذ الستار وتصدق به على الفقراء.

وسئلت عائشة أم المؤمنين: «أي الناس كان الأحب إلى رسول الله؟» قالت: «فاطمة»، فسئلت: «ومن الرجال؟» قالت: «زوجها، إن كان ما علمته صواماً قواماً».

❖ في مدرسة رسول الله (ص):

إننا نعرف أن فاطمة وعلياً (ع) كانا معاً في طفولتهما وفي بداية شبابهما، يتعلمان في مدرسة رسول الله (ص) كانا معاً في بيته يسمعان القرآن أول ما ينزل على رسول الله (ص)، وكان يعطيها من علمه ما يملأ عقليهما علماً، وشخصيتهما قوة من الوعي والروحانية.

وكانت فاطمة تتعلم من رسول الله (ص) كما يتعلم علي (ع) منه، ولذلك، لم يكن هناك أحد من الصحابة يملك العلم الذي تملكه فاطمة إلا علي (ع).

❖ سيدة نساء العالمين:

فقد ورد عن النبي (ﷺ)، مما رواه السنة والشريعة، عدة أحاديث عن الزهراء (ﷺ)، من بينها: «أنا سيدة نساء أهل الجنة»، و«أنا سيدة نساء العالمين»، و«أنا سيدة نساء هذه الأمة». ويروى أن النبي (ﷺ) قال لها: «يا بنية، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟» قالت: «يا أبت، وأين مريم ابنة عمران؟»، قال (ﷺ): «تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك، أما والله زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة».

❖ الزهراء (ﷺ) العابدة:

يروى الإمام الحسن (ﷺ) عن عبادة والدته، يقول: «رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راکعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟» قالت: يا بني، الجار ثم الدار».

وكانت الزهراء (ﷺ) تترقب ساعات استجابة الدعاء، لتقف بين يدي الله عز وجل وتفتح قلبها وعقلها على الله سبحانه، فتناجيه بما تحب وترغب، وتسأله بما يجيش في صدرها ويعتمل في قلبها من هموم وآلام ومصائب لم تجد إلى بثها سبيلاً، وتدعوه وتتوسل إليه، لأن في الدعاء سعادة الدنيا والآخرة.

فقد ورد عنها (ﷺ) أنها قالت: «سمعت النبي (ﷺ) يقول: إن في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه إياه. قالت: فقلت: يا رسول الله (ﷺ) أي ساعة هي؟ قال: إذا تدلى نصف عين الشمس للغروب».

فكانت فاطمة (ﷺ) تقول لغلامها- كما روي -: «اصعد على السطح، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلى للغروب فأعلمني حتى أدعو»

❖ الزهراء (ﷺ) العالمة:

وكانت الزهراء (ﷺ) وهي مثقلة بأعمال البيت وبتربية أطفالها وخدمتها لأبيها ولزوجها، كانت تجد الوقت للدعوة إلى الله، ولتعليم المؤمنات ما تعلمته من رسول الله (ﷺ)، وكان (ﷺ) يوجهها ويطلق لها التعاليم، ويطلب منها أن تعلم المسلمات من ذلك، ومن بين ذلك ما روي عن الأنمة (ﷺ)، ورواه صاحب وسائل الشيعة، أن رسول الله (ﷺ) كان يأمر فاطمة أن تعلم المؤمنات مسائل الحيض، وكانت، كما ينقل بعض رواة تاريخها، تكتب عن النبي (ﷺ)، حتى إنها أضاءت بعض ما كتبته، فقالت لجاريتها فضة: «إبحثي عنها، فإنها تعدل عندي حسناً وحسيناً».

❖ الزهراء (ﷺ) الزوجة:

وعندما انتقلت الزهراء (ﷺ) إلى المدينة، بعد أن هاجر رسول الله إلى المدينة، تزوجت علياً، وكان علي (ﷺ) كفو فاطمة، فقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «لولا أن الله تبارك وتعالى خلق علياً ما كان لفاطمة كفو».

النبي (ﷺ) عندما تحدث النبي (ﷺ) عن الزهراء (ﷺ)، لم يكن حديثه حديث العاطفة، من خلال حديث الأب عن ابنته، ونحن لا ننكر أن يكون هناك عاطفة للأب تجاه ابنته، ولكن عندما تكون المسألة مسألة بيان القيمة والمنزلة، فإن ذلك لا ينطلق من خلال العاطفة.

فقد كانت فاطمة بعقلها وفكرها وروحها وطهرها وجهادها، كفواً لعلي الذي كان في المستوى الأعلى والأكبر من كل هذه الصفات والمعاني.

وهكذا عاشت فاطمة (ﷺ) حياة متعددة في وقت واحد، أخلصت لدورها كزوجة مع علي (ﷺ)، فكانت تهيئ له الجو الذي يحتاجه الزوج المسلم المجاهد في مستوى علي (ﷺ).

❖ عصمة الزهراء (ﷺ):

إننا نعتقد أن الزهراء (ﷺ) معصومة عن الخطأ والزلل والسهو والنسيان، فلم ترتكب في حياتها معصية مهما كانت صغيرة.

ويمكن أن نستدل على عصمتها بثلاثة أدلة تضاف إلى قول النبي (ﷺ): «فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني».

الأول: إننا لو درسنا حياتها منذ ولادتها إلى حين وفاتها؛ حياتها مع أبيها ومع زوجها ومع أولادها ومع الناس جميعاً، لما وجدنا لها خطأ في فكر أو زلة في قول أو اشتباهاً في فعل، فقد كانت حياتها (ﷺ) تجسد العصمة أتم تجسيد.

الثاني: إنها من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فتشملها آية التطهير: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً} [الأحزاب: ٣٣]

الثالث: إن فاطمة الزهراء (ﷺ) هي سيدة نساء العالمين كما جاء في الحديث المشهور عند الفريقين، ولا يمكن أن تكون امرأة في مستوى سيدة نساء العالمين إلا وتكون الإنسان الذي يعيش الحق كله، في عقلها وقلبها وحركتها، ولا يمكن أن يزحف الباطل إلى شيء منها في ذلك كله.

❖ الزهراء (ﷺ) المحبة والصابرة:

وعندما حضرت رسول الله (ﷺ) الوفاة، جاءت إليه الزهراء (ﷺ)، فضمها إليه وهمس في أذنها فبكت، وضمها إليه مرة ثانية فضحكت، وعندما سئلت عن ذلك لم تفش بهذا السر في حياة النبي (ﷺ)، ولكنها أفشته بعد وفاته، حيث قالت: «إنه أخبرني أنه يموت فبكيته، ثم أخبرني أنني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت». وكان عمر الزهراء (ﷺ) عند وفاتها ثمانية عشر سنة، وفي أكثر الروايات ثمانية وعشرين سنة، وكانت زوجة تحب زوجها ويحبها، وكانت أما تحب أولادها ويحبونها، ومهما كانت العلاقة بين الأب وابنته، فإنها عادة تحب أن تعيش مع زوجها وأولادها، ولكن ضحك الزهراء (ﷺ) يدل على قوة العلاقة الروحية بينها وبين رسول الله (ﷺ)، بحيث ترتاح وتسرع لأنها سوف تكون أول أهل بيته لحوقاً به، وكانت تأخذ بولديها الحسن والحسين (ع) إلى قبر جدهما وتحديثهما عنه، حتى تملأ عقلهما وقلبهما بالنبي (ﷺ).

ونحن نعرف أن الزهراء (ﷺ) عانت الكثير بعد رسول الله (ﷺ)، عندما هددوا بالهجوم على دارها وإحراقه، وقيل لمن هدد: «إن فيها فاطمة»، فقال: «وإن»، ونقل في بعض المرويات أحداثاً حصلت بعد التهديد مما هو محل للمناقشة في سنده ودلالته: إلا أن ذلك لا يغير من واقع التجرد على بضعة الرسول.

وعصبت فدكاً التي هي نحلة من رسول الله (ﷺ) لها، ولكنها كانت الصابرة القوية، ووقفت مع علي (ع) تدافع عن حقه وشرعية إمامته، فوقفت خطيبة في مسجد رسول الله (ﷺ)، وألقت تلك الخطبة الرائعة التي تحدث فيها عن أسرار التشريع الإسلامي، ودافعت فيها عن حق علي (ع)، ووجهت المسلمين إلى ما يجب عليهم من الالتزام بالحق، وكانت تريد أن تظهر احتجاجها على ما فعله البعض معها ومع علي (ﷺ)، فأوصت أن تدفن ليلاً وأن لا يحضر جنازتها أحد ممن تجرأ عليها وعلى بيتها واغتصب الخلافة من زوجها.

لقد استطاعت أن تعبر عن معارضتها دون انفعال، وقد بذلت كل حياتها في خدمة الإسلام وفي خدمة رسول الإسلام ولم تحركها الانفعالات في كل مراحل حياتها.

❖ الزهراء (ﷺ) مظهر الفضائل ورمز الطهارة:

إن فاطمة الزهراء (ﷺ) هي مظهر حي لفضائل أهل البيت (ﷺ) في كل كلماتها وأعمالها، في زهدا وعبادتها، في أخلاقها ومشاعرها، في إيمانها وتقواها.

فاطمة (ﷺ) هي الاسم الذي عندما نذكره أو نتذكره فإنه لا يوحى لنا إلا بالطهارة كأصفي ما تكون الطهارة، وبالنقاء كأعذب ما يكون النقاء، وبالإنسانية التي تعطي الإنسان قيمته، وبالعصمة التي تتمثلها فكراً في فكرها، وخلقاً في أخلاقها، وسلوكاً في كل حياتها، وشجاعة في الموقف مع الحق، شجاعة رسالية لا شجاعة انفعالية.. كانت وقفاتها ووقفات من أجل الحق، وكان حزنها حزن القضية وفرحها فرح الرسالة، ومثلت عمق الإسلام في عمق شخصيتها، واختزنت في داخلها كل الفضائل الإنسانية الإسلامية، باعتبار أن كونها سيدة نساء العالمين يفرض أن تكون في المستوى الأعلى من حيث القيمة الروحية والأخلاقية.

كانت (ﷺ) العظيمة العالمة الطاهرة الصابرة التي قال عنها رسول الله (ﷺ): «إنها أم أبيها»، وكانت القدوة لكل المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، في العلم والروحانية والقرب إلى الله والدعوة إلى الإسلام والجهاد.

فالإسلام عليها يوم ولدت ويوم انتقلت إلى رحاب الله ويوم تبعث حية.